الفصل السابع

غـزوة أحـد:

تاريخ الغزوة: اتفق كتاب السيرة على أنها كانت في شوال من السنة الثالثة الهجرية[1]، واختلفوا في اليوم الذي وقعت فيه. وأشهر الأقوال إنه السبت[2]، للنصف من شوال[3].

أسبابهـا: لقد كان السبب المباشر لها، كما أجمع على ذلك أهل السير، هو أن قريشا أرادت أن تنتقم لقتلاها في بدر، وتستعيد مكانتها التي تزعزعت بين العرب بعد هزيمتها في بدر[4].

أما من بين الأسباب الأخرى الهامة التي يمكن استنتاجها من مجريات الأحداث، فهي أن قريشا تريد أن تضع حدا لتهديد المسلمين طرق تجارتهم إلى الشام، والقضاء على المسلمين قبل أن يصبحوا قوة تهدد وجودهم.

عدة المشركين: خصصت قريش قافلة أبي سفيان التي نجت من المسلمين[5]، وأرباحها، لتجهيز جيشهم لغزوة أحد[6]، وجمعت ثلاثة آلاف مقاتل من قريش ومن أطـاعهـا من كنانة وأهل تهامة، ومعهم مئتا فرس، وسبعمائة

---

(١) انظر ذلك في مكانه عندهم.

(٢) قال الواقدي (١/ ١٩٩) وابن سعد (٢/ ٣٦) والبلاذري في الأنساب (١/ ٣١٠) إنها كانت يوم السبت لسبع خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة وأسانيدهم ضعيفة.

(٣) من رواية خليفة بن خياط في تاريخه (ص ٩٧) بإسناد فيه مجهول، ومرسل، والطبري في التفسير (٧/ ٣٩٩) بإسناد فيه حسين بن عبدالله، وهو ضعيف، وابن إسحاق في السيرة (ص ٣٢٤)، بإسناد مركب مرسل، فيه الثقات والضعفاء، ورواية الطبري هي أصح ما في الباب. انظر الدكتور العمري: المجتمع المدني ـ الجهاد، ص ٦٥.

(٤) انظر في هذا: ابن إسحاق في السيرة، ص ٣٢٢، وابن إسحاق ـ ابن هشام (٣/ ٨٦ ـ ٨٨) بإسناد مرسل، فيه جمع من شيوخه، منهم الثقات ومنهم الضعفاء والواقدي (١/ ١٩٩) وابن سعد (٢/ ٣٧) من رواية الواقدي.

(٥) قاله ابن إسحاق في السيرة، ص ٣٢٢، وفي سيرة ابن هشام (٣/ ٨٧) بإسناد سبق الكلام عليه.

(٦) قاله الواقدي (١/ ٢٠٠).

دارع. وجعلت على الميمنة خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل، وخرجت معهم مجموعة من النساء لإثارة حماسهم وخوفهم من العار إذا فروا. وذكر ابن إسحاق أنهن كن ثمانياً، وقال الواقدي إنهن كن أربع عشرة، وقد سمياهن[٧]. وقال ابن سعد إنهن كن خمس عشرة امرأة[٨].

وأري الرسول ﷺ في منامه ما سيحدث في أحد، وذكره لأصحابه، قائلا: «رأيت في رؤياي أني هززت سيفا فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته أخرى فعاد كأحسن ما كان، فإذا هو ماجاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت بقرا ـ والله خير ـ فإذا هم المؤمنون يوم أحد»[٩]. وفي رواية أخرى: «ورأيت أني في درع حصينة فأولتها المدينة»[١٠].

وفسر الرسول ﷺ هذه الرؤيا بأن هزيمة وقتلا سيقعان في أصحابه[١١].

عندما علم الرسول ﷺ بمجيء جيش مكة لحرب المسلمين، شاور أصحابه، بين أن يبقوا داخل المدينة أو أن يخرجوا لملاقاة العدو خارجها. فقال جماعة من الأنصار: «يانبي الله، إنا نكره أن نقتل في طرق المدينة، وقد كنا نمتنع من الغزو في الجاهلية، فبالإسلام أحق أن نمتنع منه، فابرز إلى القوم، فانطلق رسول الله ﷺ فلبس لأمته[١٢]. فتلاوم القوم فقالوا: عرض نبي الله ﷺ بأمر وعرضتم بغيره، فاذهب ياحمزة فقل للنبي ﷺ: «أمرنا لأمرك تبع»، فأتى حمزة فقال: «يانبي الله، إن القوم قد تلاوموا، فقالوا: أمرنا لأمرك تبع. فقال رسول الله ﷺ: «إنه ليس لنبي إذا لبس

---

(٧) انظر: ابن هشام (٣/ ٨٧) من رواية ابن إسحاق دون إسناد، تاريخ الطبري (٣/ ٥٠٤) من رواية الواقدي، والواقدي (١/ ٢٠١).

(٨) الطبقات (٢/ ٣٧).

(٩) رواه البخاري/ الفتح (١٤/ ١٢٣ ـ ١٢٤/ح ٣٦٢٢)، مسلم (٤/ ١٧٧٩ ـ ١٧٨٠/ح ٢٢٧٢).

(١٠) رواه أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٥٠) وصحح الساعاتي إسناده، وانظر الروايات الأخرى عنده (٢١/ ٥١)، وعند ابن سعد (٢/ ٢٤٥)، عند كليهما بإسناد رجاله ثقات، ولكن فيه عنعنة أبي الزبير، وهو مدلس.

(١١) أحمد: المصدر نفسه.

(١٢) اللأمة: الدرع الحصينة وسائر أداة الحرب. وقد تترك الهمزة للتخفيف.

لأمته أن يضعها حتى يناجز»[١٣].

إن ما ذكره ابن إسحاق[١٤] وغيره من أن عبدالله بن أبي كان موافقا لرأي رسول الله ﷺ في البقاء داخل المدينة، فقد روى الطبري[١٥] عن السدي خلاف ذلك، وهو أثر إسناده صحيح ورجاله ثقات ولكنه مرسل، وفيه من يَهِم ويكثر الخطأ، ولذلك رجح الباكري[١٦] رواية ابن إسحاق لصحتها ولإجماع أهل السير على ذلك، وأن حجة ابن سلول في الرجوع عن أحد أن الرسول ﷺ لم يطعه.

ومما ذكره أهل السير أن من دوافع الراغبين في الخروج، إظهار الشجاعة أمام الأعداء والرغبة في المشاركة في الجهاد لما فاتهم من فضل الاشتراك في بدر.

أما دوافع الرسول ﷺ ومن كان على رأيه في البقاء داخل المدينة فهو الاستفادة من حصون المدينة وطاقات كل المواطنين مما يرجح فرصة دحر المهاجمين[١٧].

وبعد أن حسم الرسول ﷺ أمر الخروج رفعت راية سوداء[١٨] وثلاثة ألوية: لواء للمهاجرين، حمله مصعب بن عمير، وحمله بعد استشهاده علي ابن أبي طالب، ولواء للأوس حمله أسيد بن حضير، ولواء للخزرج، حمله الحباب بن المنذر[١٩]. وبلغ عدد من سار تحتها ألفاً من المسلمين ومن

---

(١٣) تفسير الطبري (٧/ ٣٧٢ - ٧٣/ شاكر) بإسناد حسن ولكنه مرسل إلى قتادة، ووصله أحمد (المسند: ٣/ ٣٥١، والرياني ٢١/ ٥١ - ٥٢) والمجمع (٦/ ١٠٧) وفيه عنعنة أبي الزبير، وهو مدلس، وتقوية رواية البيهقي في الدلائل (٣/ ٢٠٤) بإسناد حسن عن ابن عباس، وأخرى من طريق موسى بن عقبة مرسلا عن الزهري (٣/ ٢٠٨)، ورواه عبدالرزاق في مصنفه (٥/ ٣٦٤ - ٣٦٥) مرسلا عن عروة، والحاكم (٢/ ١٢٨ - ٢٩، ٢٩٦، ٢٩٧) وصححه ووافقه الذهبي. ورواه ابن سعد (٢/ ٣٨) معلقا. ويصح الحديث بمجموع هذه الطرق - انظر: الألباني في تعليقه. على فقه السيرة للغزالي، ص ٢٦٩، ورسالة حسين الباكري للماجستير: مرويات أحد، ص ٦٢، والعمري، المجتمع - الجهاد، ص ٦٧، وهمام سعيد وأبوصعليك في سيرة ابن هشام (٣/ ٩٢).

(١٤) ابن هشام (٣/ ٩١).

(١٥) تفسيره (٧/ ١٦٢) والتاريخ (٣/ ١١).

(١٦) مرويات غزوة أحد، ص ٦٢.

(١٧) انظر: ابن إسحاق - بدون إسناد - ابن هشام (٣/ ٩١ - ٩٢)، الواقدي (١/ ٢٠٩ - ٢١١)، ابن سعد (٢/ ٣٨).

(١٨) تاريخ ابن خياط، ص ٦٧، بإسناد حسن إلى سعيد بن المسيب، مرسلا، ومراسيله قوية.

(١٩) الواقدي (١/ ٢١٥)، ولم ترد رواية صالحة للاحتجاج بها في أمر الألوية.

ظاهرهم، وكان معهم فرسان ومائة دارع[٢٠]. وكان الرسول ﷺ يرتدي درعين[٢١].

وعندما تجاوز الرسول ﷺ في مسيره إلى أحد ثنية الوداع رأى كتيبة خشناء، فقال: «من هؤلاء؟ قالوا: هذا عبدالله بن أبي بن سلول في ستمائة من مواليه من اليهود من أهل قينقاع، وهم رهط عبدالله بن سلام. قال: وقد أسلموا؟ قالوا: لا يارسول الله. قال: قولوا لهم فليرجعوا فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين»[٢٢]. وإذا صح هذا الخبر يكون جلاء قينقاع بعد أحد.

وعندما وصل جيش المسلمين الشوط[٢٣]، انسحب المنافق ابن سلول بثلثمائة من المنافقين، بحجة أنه لن يقع قتال مع المشركين، ومعترضا على قرار القتال خارج المدينة، قائلا: «أطاع الولدان ومن لا رأي له، أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا»[٢٤].

ورأت فرقة من الصحابة قتال هؤلاء المنافقين، ورأت الفرقة الأخرى عدم ذلك، فنزلت الآية الكريمة ﴿فمالكم في المنافقين فئتين والله أركسهم[٢٥] بما كسبوا﴾[٢٦][٢٧].

---

(٢٠) الطبقات (٣/ ٣٩)، وتاريخ الطبري (٣/ ٥٠٤).

(٢١) من حديث رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٥) وصححه ووافقه الذهبي، الواقدي (١/ ٢١٩).

(٢٢) رواه ابن سعد في موضعين، الأول (٢/ ٣٩) دون إسناد، والثاني (٢/ ٤٨) وهو الذي أثبتناه، بإسناد فيه مقال، لأن ابن خداش صدوق يخطىء ومحمد بن عمرو صدوق له أوهام، وابن المنذر مقبول، ولكنه يتقوى بالشواهد والمتابعات، مثل: رواية الحاكم في المستدرك (٢/ ١٢٢)، والبيهقي في سننه (٩/ ٣٧)، والطبراني كما في مجمع البحرين (٢/ ٢٢٣)، والهيثمي في المجمع (٦/ ٢٠٣)، وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه سعد بن المنذر، ذكره ابن حبان في الثقات، وبقية رجاله ثقات، وابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٣/ ٩٣)، والواقدي (١/ ٢١٥ ـ ٢١٦).

(٢٣) هو مكان ملعب التعليم بالمدينة الآن. قاله العياشي في: «المدينة بين الماضي والحاضر»، ص ٣٦٩، والبلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ١٧٠. وعند الواقدي أن مكان الانسحاب كان عند منطقة الشيخين، قريبا من أحد ـ المغازي (١/ ٢١٩).

(٢٤) ابن إسحاق ـ دون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ٩٢)، الواقدي (١/ ٢١٩)، ابن سعد (٢/ ٣٩)، البيهقي: دلائل النبوة (٣/ ٢٠٨) من رواية موسى بن عقبة مرسلا. وروى البخاري وغيره أنه: «لما خرج النبي ﷺ إلى غزوة أحد، رجع ناس ممن خرج معه...» ـ انظر: البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٣٢/ح ٤٠٥٠) والباكري، ص ٧١.

(٢٥) أركسهم: بددهم.

(٢٦) النساء: ٨٨.

(٢٧) قاله البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٣٢/ح ٤٠٥٠). وانظر الآثار الواردة في هذا عند الطبري في تفسيره (٩/ ٧ ـ ٩/ شاكر) وقد روى آثارا أخرى في سبب نزول الآية ـ انظره في (٩/ ٩ ـ ١٦).

واتبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام عند انسحابهم، وأخذ يقول لهم: «أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أن يكون قتال. فلما استعصوا عليه، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه، وقد أشار القرآن إلى هذا الحوار في قوله تعالى: ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلمَ المؤمنين. وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان، يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم، والله أعلم بما يكتمون﴾[٢٨][٢٩].

وكادت بنو سلمة ـ من الخزرج ـ وبنو حارثة ـ من الأوس ـ أن تنخذل مع المنافقين لولا أن الله ثبتهم مع المؤمنين، وفيهم قال الله (عز وجل) ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما. . .﴾[٣٠][٣١].

ورد الرسول ﷺ في معسكره بالشيخين جماعة من الفتيان لصغر أسنانهم، إذ كانوا في سن الرابعة عشرة أو دون ذلك، منهم: عبدالله بن عمر وزيد ابن ثابت وأسامة بن زيد والنعمان بن بشير وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وعرابة بن أوس وأبوسعيد الخدري، . . بلغ عددهم أربعة عشر صبيا، وقد ذكرهم ابن سيد الناس[٣٢]. وقد ثبت أن ابن عمر كان منهم[٣٣]، وأجاز منهم رافع بن خديج لما قيل له إنه رام، وسَمُرَة بن جُنْدُب، لأنه احتج بأنه أقوى من رافع ويصرعه[٣٤].

وفي تلك الليلة قام ذكوان بن عبد القيس بحراسة الجيش، ويقال كان

---

(٢٨) آل عمران: ١٦٦ ـ ١٦٧.
(٢٩) رواه ابن إسحاق مرسلا ـ ابن هشام (٣/ ٩٣).
(٣٠) آل عمران: ١٢٢.
(٣١) روى ذلك البخاري/ الفتح (٥/ ٢٣٣/ح ٤٠٥١).
ومسلم (٤/ ١٩٤٨/ح ٢٥٠٥)، وابن إسحاق ـ بدون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ١٥٤)، وتفسير الطبري (٧/ ١٦٦). وانظر البيهقي: الدلائل (٣/ ٢٢٠ ـ ٢٢٢).
(٣٢) عيون الأثر (٢/ ٧). وانظرهم عند: الواقدي (١/ ٢١٦) وابن هشام (٣/ ٩٦) دون إسناد.
(٣٣) رواه البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٧٦/ح ٤٠٩٧)، ومسلم (٣/ ١٤٩٠/ح ١٨٦٨).
(٣٤) ابن هشام (٣/ ٩٦) دون إسناد.

يحرس رسول الله ﷺ لم يفارقه[٣٥].

وعندما تحرك الجيش في صباح السبت لملاقاة العدو، مروا بحائط مِرْبَع ابن قَيْظِي، وكان أعمى البصر منافقا، فأخذ يحثو التراب في وجوه المسلمين، ويقول: «إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي، والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك يامحمد لضربت بها وجهك. فابتدره القوم ليقتلوه»، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصر»، وقد شجه سعد بن زيد قبل هذا النهي[٣٦].

وفي الطريق إلى ميدان المعركة طلب عمر من أخيه زيد أن يأخذ درعه، فقال له زيد: «إني أريد من الشهادة مثل الذي تريد»، فتركاه جميعا[٣٧].

وعندما وصل جيش المسلمين إلى جبل أحد جعل الرسول ﷺ ظهورهم إلى الجبل ووجوههم إلى المدينة. وانتقى خمسين من الرماة تحت إمرة عبدالله ابن جبير، ووضعهم فوق تل عينين المقابل جبل أحد، خشية أن يطوق المشركون المسلمين. وأصدر أوامره إليهم قائلا: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا، حتى أرسل إليكم»[٣٨]. وبذلك سيطر المسلمون على المرتفعات وتركوا الوادي لجيش مكة ليواجه أحد وظهره إلى المدينة.

وعند التحام الجيشين نادى أبوعامر ـ عبد عمرو بن صَيفِي[٣٩] ـ قومه من الأوس لينضموا معه للحرب في صفوف المشركين، ولكنهم اغلظوا له في الرد قائلين له: «فلا أنعم الله بك عينا يافاسق» ولم يملك أن قال:

---

(٣٥) الواقدي (١/ ٢١٧) دون إسناد، وانظر قصته هنا.

(٣٦) ابن إسحاق، دون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ٩٤)، الواقدي (١/ ٢١٨).

(٣٧) رواه الطبراني كما في المجمع (٥/ ٢٩٨) وقال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح»، وخرجه الباكري، ص ٩٣: وقال: «لم أجد إبراهيم بن نصر، وإبراهيم بن حمزة صدوق، وعبدالعزيز بن حمد صدوق، وله متابعة ضعيفة أخرجها ابن سعد (٣/ ٣٧٨) وضعفها من قبل عبدالله بن عمر العمري، والحديث صحيح، وقد ذكره غير واحد من أهل السير».

(٣٨) البخاري/ الفتح (١٢/ ١٣٢/ح ٣٠٣٩) و (١٥/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥/ح ٤٠٤٣)، وعند أحمد والحاكم: «احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا ـ المسند (٤/ ٢٠٩/ شاكر) وصحح إسناده، والمستدرك (٢/ ٢٩٦) ـ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وانظره بمعناه عند أهل المغازي والسير: الواقدي (١/ ٢١٩ ـ ٢٢٠)، ابن سعد (٢/ ٣٩ ـ ٤٠).

(٣٩) كان من الأوس، خرج من المدينة إلى مكة مباعدا لرسول الله ﷺ ومعه جماعة من غلمان الأوس، وكان يعد قريشا أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان. وكان يعرف بـ«الراهب» فسماه النبي ﷺ «الفاسق».

«لقد أصاب قومي بعدي شر». وأخذ في قتالهم بالحجارة[٤٠].

وبدأ القتال بمبارزة بين علي وطلحه بن عثمان، حامل لواء المشركين، فقتل علي طلحة[٤١]. ثم التحم الجيشان واشتد القتال، واستبسل المسلمون حتى تمكنوا من دحر المشركين إلى معسكرهم، وأخذ الرسول ﷺ في زيادة رفع روحهم المعنوية بأن اخذ سيفا وقال: «من يأخذ مني هذا؟ فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا. قال: من يأخذه بحقه؟ فأحجم القوم، فقال أبودجانة: أنا آخذه بحقه. فأخذه بحقه. فأخذه ففلق به هام المشركين[٤٢].

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد: أمت، أمت[٤٣]، فقد استماتوا تحت هذا الشعار، وسجل التاريخ استماتة حمزة وبسالته في القتال. فقد تصدى في المبارزة لسباع بن عبدالعزى ـ فقتله[٤٤]، ولغيره من عتاة

---

(٤٠) ابن إسحاق ـ مرسلا ـ ابن هشام (٣/ ٩٧ ـ ٩٨)، الواقدي (١/ ٢٢٣)، ابن سعد (٢/ ٤٠)

(٤١) رواه الطبري في تفسيره (٧/ ٢٨١) بإسناد صحيح ولكنه من مراسيل السدي.

(٤٢) مسلم (٤/ ١٩١٧/ح ٢٤٧٠)، أحمد: المسند (٣/ ١٢٣) والحاكم (٣/ ٢٣٠) وصححه ووافقه الذهبي ولكن لم يوافقهما الباكري ص١٠٨ وعد ذلك من أوهامهما، لأن عبيد الله مجهول، وابن سعد (٣/ ٥٥٦)، وابن إسحاق ـ ابن هشام (٣/ ٩٧)، وفي رواية ابن إسحاق ـ وهي من دون إسناد ـ أن أبا دجانة قال: وما حقه يارسول الله؟ قال: «أن تضرب به العدو حتى ينحني... وكان أبودجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء، فاعتصب بها، علم الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد الرسول ﷺ أخرج عصابته تلك، فعصب بها رأسه وجعل يتبختر بين الصفين، وحين رآه الرسول ﷺ قال: «إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذه المواطن» ـ إسناده مرسل وضعيف جدا كما خرجه الباكري، ص١٠٦ من سيرة ابن هشام وسيرة ابن إسحاق ص٣٢٦ وأسد الغابة (٥/ ١٨٤). وفي رواية الحاكم الضعيفة أن أبا دجانة قاتل به حتى انتهى إلى الجبل فوجد نسوة، إحداهن تقول: «نحن بنات طارق.. نمشي على النمارق». أهوى إليها بالسيف ليقتلها ثم تركها إكراما لسيف رسول الله ﷺ أن يقتل به امرأة. وذكر أهل السير بأسانيد ضعيفة أنه عندما خرج متبخترا، كان يقول:

«أنا الذي عاهدني خليلي ... ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكيول ... أضرب بسيف الله والرسول

انظر الباكري: مرويات غزوة أحد، ص١٠٩.

(٤٣) المستدرك (٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨) وصححه وسكت عنه الذهبي، أبوداود (٣/ ٧٤/ ك. الجهاد/ ب. الرجل ينادي)، مسند أحمد (٤/ ٤٦)، الدارمي: السنن (٢/ ٢١٩) ـ مختصرا، ابن هشام (٣/ ٩٩) ـ بدون إسناد، الواقدي (١/ ٢٣٤). قال محققا سيرة ابن هشام: «سند أحمد وأبي داود والحاكم صحيح رغم وجود عكرمة، لكن حديثه عن إياس صالح، ويشهد له حديث أبي العميس عن إياس عند الحاكم، وقال على شرط مسلم وعند الدارمي. وبه يكون الحديث صحيحا».

(٤٤) ذكره البخاري في حديث وحشي الطويل عن قتل حمزة ـ الفتح (١٥/ ٤٠٧٢/٢٤٧) والواقدي (١/ ٣٠٨).

المشركين[45] أمثال عثمان بن أبي طلحة، أبي شيبة، أحد حملة لواء المشركين يومذاك.

وكان وَحْشِيّ مولى جُبَيْر بن مُطْعِم قد اشترط عليه مولاه أن يعتقه إن هو قتل حمزة، ثأرا لعمه طعيمة بن عدي، الذي قتله حمزة يوم بدر. فكمن لحمزة تحت صخرة، فلما دنا منه رماه بحربته فقتله غدرا[46].

وقاتل مُصْعَب بن عُمَيْر حتى استشهد، وأخذ الراية بعده علي[47]. وصدق المسلمون في اللقاء، فأوقعوا في المشركين القتل، وقتلوا أصحاب اللواء، حتى تركه المشركون وما يدنو منه أحد منهم[48]. وانتصروا عليهم في هذه الجولة الأولى من القتال، وفي ذلك يقول القرآن الكريم ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه﴾[49][50].

وعندما انهزم المشركون بنسائهم ـ وقد بدت سوقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن ـ قال أصحاب ابن جبير: «الغنيمة، أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبدالله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة» ثم هرعوا إلى جمع الغنائم.

وكانت هذه فرصة مواتية لابن الوليد ليلتف حول المسلمين، فيراه

---

(٤٥) انظر: الواقدي (١/ ٣٠٧).

(٤٦) من حديث وحشي الطويل في قتل حمزة عند البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٤٥ ـ ٤٩/ح ٤٠٧٢). وروى القصة كذلك: أحمد في مسنده: الفتح الرباني (٢١/ ٥٩ ـ ٦٠). وابن إسحاق بسند البخاري وحديثه ـ ابن هشام (٣/ ١٠٢ ـ ١٠٥).

(٤٧) ابن خياط في التاريخ، ص ٦٧ من مرسل ابن المسيب، وهي قوية.

(٤٨) ابن إسحاق، بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/ ١١٢).

(٤٩) آل عمران: ١٥٢. والحس: القتل.

(٥٠) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٢٥/ح ٣٠٤٣)، وانظر الآثار التي أوردها الطبري في تفسير هذه الآية: التفسير (٧/ ٢٨١ ـ ٢٨٨/ الآثار من رقم ٨٠٠٤ ـ ٨٠١١/ شاكر) خاصة الأثر ٨٠٠٨، وابن كثير في التفسير (٢/ ١١٤ ـ ١١٥) من رواية الإمام أحمد: المسند (١/ ٢٨٧، ٢٨٨) من حديث ابن عباس، وقال ابن كثير: «هذا حديث غريب، وسياق عجيب، وهو من مرسلات ابن عباس، فإنه لم يشهد أحد ولا أبوه... وقد أخرجه الحاكم (٢/ ٢٩٦) عن أبي النضر الفقيه... وهكذا رواه ابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل... ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها». وساق ابن كثير الشواهد على صحة الحديث في التفسير وفي التاريخ (٤/ ٢٩ وما بعدها) وقال الساعاتي في الفتح الرباني (٢١/ ٥٥): «أخرجه الحاكم والطبراني في الكبير، وصححه الحاكم وأقره الذهبي... وأورده الهيثمي وقال: «رواه أحمد وفيه عبدالرحمن بن أبي الزناد، وقد وثق على ضعفه». وانظر الخبر عند ابن سعد (٢/ ٤١) ـ معلقا.

المشركون فيعودوا إلى ميدان القتال مرة أخرى[٥١]، محيطين بالمسلمين. وارتبك المسلمون إلى الحد الذي لم يقدر أن يميز بعضهم المسلم من الكافر. وفي هذه اللحظات قتل المسلمون اليمان ـ والد حذيفة ـ وابنه حذيفة يصرخ فيهم: «أي عباد الله، أبي، ثم قال لهم عندما قتلوه: يغفر الله لكم»[٥٢]. واستشهد من المسلمين خلق كثير، وغاب الرسول ﷺ عن أعينهم، وشاع أنه قد قتل[٥٣].

وفر جمع من المسلمين من الميدان. وجلس بعضهم دون قتال[٥٤]، وتصدى آخرون للمشركين وحرضوا المؤمنين على القتال حتى نالوا الشهادة. ومن هؤلاء أنس بن النَّضْر الذي كان يتشوق لتعويض مافاته من فضل بدر. فقال عندما رأى بعض المسلمين قعودا: «الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد». وعندما انجلت الغمة وجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة ورمية وطعنة، ولم يعرفه أحد إلا أخته الرُّبَيِّع، عرفته ببنانه، وقد أرسل الرسول ﷺ زيد بن ثابت بعد المعركة ليتفقده، فوجده وبه رمق، فرد سلام الرسول ﷺ ثم قال: «أجدني أجد ريح الجنة، وقل لقومي من الأنصار: لا عذر لكم عند الله ان يخلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر يطرف»، ودمعت عيناه[٥٥]. ونزلت فيه وفي أمثاله من المجاهدين الصادقين الآية ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من

---

(٥١) من رواية مرسلة للسدي، ذكرها الطبري في التفسير (٧/ ٢٨١ ـ ٢٨٢/ح ٨٠٠٤/شاكر). ورواه ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/ ١١٢) ولم يذكر ان الذي التف هو خالد بالذات.

(٥٢) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠/ح ٤٠٦٥) ورواه الحاكم (٣/ ٢٠٢) ـ وصححه وأقره الذهبي، ومسند أحمد (٤/ ٢٠٩ ـ ٢١١/شاكر) وصحح شاكر إسناده وخبر اليمان وتخلفه أولا مع الذرية في الحصون ثم لحاقه بالرسول ﷺ ثم مقتله، رواه ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/ ١٢٧ ـ ١٢٨).

(٥٣) انظر ابن حجر: الفتح (١٥/ ٢٢٦) وعزاه إلى الطبري من رواية السدي. ورواه ابن اسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/ ١١٢)، ورواه من طريقه آخرون.

(٥٤) انظر: ابن إسحاق بإسناد صحيح مرسل ـ ابن هشام (٣/ ١٢٠)، والواقدي (١/ ٢٨٠) وتاريخ الطبري (٢/ ٥١٧) وتفسير الطبري (٧/ ٢٥٦).

(٥٥) رواه ابن إسحاق بإسناد رجاله ثقات كما جاء في المجمع ـ مجمع البحرين (٢/ ٢٣٩) وشرح المواهب (٢/ ٤٤). ومعرفة أخته ببنانه رواها ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٣/ ١٢٠) بإسناد مقبول من حديث أنس بن مالك.

ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾[٥٦][٥٧].

وكان الفارون لا يلوون على شيء على الرغم من دعوة الرسول ﷺ لهم بالثبات معه. وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم﴾[٥٨].

وقد عفا الله عن الذين فروا. قال تعالى: ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم﴾[٥٩]. وذكر ابن الجوزي[٦٠] ان أحد سببي فرارهم هو سماعهم إشاعة مقتل النبي ﷺ.

وكان أول من علم بأن الرسول ﷺ حي بعد الانتكاسة، هو كعب ابن مالك، فنادى مبشرا بذلك، فأسكته الرسول ﷺ حتى لا ينتبه المشركون له[٦١].

وتمكن بعض المشركين من الوصول إلى الرسول ﷺ وقد أفرد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه، قال: «من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة؟ فتقدم الواحد تلو الآخر للدفاع عنه حتى استشهد الأنصار السبعة، فقال النبي ﷺ لصاحبيه القرشيين: «ما أنصفنا أصحابنا»[٦٢].

وممن قاتل دون الرسول ﷺ قتالا عظيما سجله التاريخ: طلحة بن

---

(٥٦) الأحزاب: ٢٣.

(٥٧) البخاري/ الفتح (١١/ ٢٨٣/ح ٢٨٠٥) وابن اسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/ ١٢٠) والسيرة ص ٢٣٠، وعن سبب النزول انظر الحاكم (٣/ ٢٠٠) وصححه ووافقه الذهبي.

(٥٨) آل عمران: ١٥٣. وانظر الآثار الواردة في تفسيرها عند الطبري (٧/ ٣٠١ ـ ٣٠٢).

(٥٩) آل عمران: ١٥٥. وذكر محققو زاد المسير (١/ ٤٨٣) أن الإمام أحمد وأبايعلى والطبري والبزار، رووا بإسناد حسن حديثا في أن الآية نزلت في الذين فروا يوم أحد.

(٦٠) زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٤٨٣).

(٦١) من حديث رواه الحاكم (٣/ ٢٠١) وصححه وأقره الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١١٢): «ورواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجال الأوسط ثقات، ورواه ابن سعد مرسلا عن الزهري (٢/ ٤٦)، وأبونعيم في الدلائل (٢/ ٤٨٢) بإسناد متصل حسن من حديث ابن إسحاق، وابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٣/ ١٢١).

(٦٢) مسلم (٣/ ١٤١٥/ح ١٧٨٩).

عُبَيْدِالله، حتى شلت يده التي وقى بها النبي ﷺ[٦٣]، وسعد بن أبي وقاص، الذي كان الرسول ﷺ يناوله السهام ويقول له: «ياسعد، ارم فداك أبي وأمي»[٦٤]، ولم يجمع النبي ﷺ أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك بن أبي وقاص، كما قال علي (رضي الله عنه)[٦٥]، وكما قال هو عن نفسه[٦٦]، وأبوطلحة الأنصاري، أمهر الرماة، والذي كان الرسول ﷺ إذا مر به أحد بجعبته نبل، يقول له: «انثرها لأبي طلحة»، وعندما يشرف النبي ﷺ على القوم يقول له أبوطلحة: «بأبي أنت وأمي، لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك»[٦٧] وهو الذي قال عنه الرسول ﷺ معجبا به: «لصوت أبي طلحة في الجيش أشد على المشركين من فئة»[٦٨]، وأبودُجَانَة، الذي كان يحمي الرسول ﷺ بظهره، حتى كثر النبل فيه وهو منحن عليه[٦٩].

وقد ورد أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت طرفها فأخذها قَتَادَة بن النعمان، فكانت عنده. وأصيب يومئذ عين قتادة حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله ﷺ بيده، فكانت أحسن عينيه وأحدهما[٧٠].

وفي هذه الظروف العصيبة اضطرت أم عُمَارَة ـ نُسَيْبَة بنت كعب المَازِنية ـ

---

(٦٣) البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٢٩/ح ٣٧٢٤)، وهو الذي جلس تحت الرسول ﷺ ليرفعه على صخرة من الجبل حين حصرهم الكفار في شعب أحد، فقال له الرسول ﷺ: «أوجب طلحة» ـ أي وجبت له الجنة. رواه ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/ ١٢٦)وقال عنه الرسول ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيدالله» قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٣٢): «رواه الأصبهاني بإسناد صحيح لشواهده...».

(٦٤) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦/ح ٤٠٥٧).

(٦٥) المصدر والمكان نفساهما.

(٦٦) المصدر نفسه (١٥/ ٢٣٥/ح ٤٠٥٧) و(١٤/ ٢٣٠/ح ٣٧٢٥).

(٦٧) المصدر نفسه (١٥/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦/ح ٤٠٥٧).

(٦٨) رواه أحمد: الفتح الرباني (٢٢/ ٥٨٩) بإسناد رجاله ثقات. وانظر: الواقدي (١/ ٢٤٣) ولفظه: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من أربعين رجلا».

(٦٩) ابن إسحاق، بدون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ١١٨ ـ ١١٩).

(٧٠) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٣/ ١١٩)، والحاكم (٣/ ٢٩٥)، وسكت عنه الذهبي، والهيثمي في المجمع (٦/ ١١٣) وقال: «رواه الطبراني وفيه من لم أعرف»، والواقدي (١/ ٢٤٢) وقال ابن حجر في الإصابة (٣/ ٢١٧): «وأخرجه الدار قطني وابن شاهين من طريق... عن قتادة، والدارقطني والبيهقي في الدلائل من طريق... عن قتادة». وذكر ابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ١٩٥) من طريق فيه عبدالعزيز بن عمران، وهو متروك ـ انظر دلائل البيهقي (٣/ ٢٥١ ـ ٢٥٣)، والباكري، ص ص ٢٢٣ ـ ٢٢٧. والخلاصة أن هذا الخبر لم يرد بإسناد يحتج به.

أن تدافع عن الرسول ﷺ، حتى جرحها ابن قَمِئَة جرحا أجوف له غور على عاتقها[٧١].

وقاوم الرسول ﷺ مقاومة شديدة، فأصيب إصابات كثيرة، فكسرت رباعيته وشج في وجهه، وسال دمه، فجعل يمسحه ويقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الإسلام»، فأنزل الله (عز وجل): ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون[٧٢]﴾[٧٣]. فقال رسول الله ﷺ لما طمع في إسلامهم: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون﴾[٧٤]. وفي روايات عند البخاري[٧٥] ان الرسول ﷺ كسرت رباعيته يومئذ وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه.

وقال ﷺ عندما فعل به المشركون ذلك: «اشتد غضب الله على قوم فعلوا هذا بنبيه، ـ يشير إلى رباعيته ـ اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله» وفي رواية: «اشتد غضب الله على من قتله النبي في سبيل الله، اشتد غضب الله على قوم دموا وجه نبي الله ﷺ[٧٦]. وكانت فاطمة ابنته تغسل دماءه وعلي يسكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير وأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم[٧٧].

وقد ظهرت بطولات إيمانية كثيرة في هذه الغزوة، ومن ذلك:

---

(٧١) ابن هشام، بإسناد منقطع (٣/ ١١٨)، والواقدي (١/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩) وابن سعد (٨/ ٤١٢ ـ ٤١٥) من طريق الواقدي.

(٧٢) آل عمران: ١٢٨.

(٧٣) مسلم (٣/ ١٤١٧/ح ١٧٩١)، والبخاري ـ معلقا ـ الفتح (١٥/ ٢٤٣/ك. المغازي/ ب. ليس لك من الأمر شيء) وذكر ابن حجر في شرحه من وصله من العلماء المحدثين، والترمذي (٨/ ١٨٤/ التفسير/ح ٣٠٠٥) وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي (٣/ ٣٣/ التفسير/ح ٣٢٠١)، صحيح ابن ماجة للألباني، (٢/ ٣٧٢/ح ٤٠٢٧) وقال: صحيح، وأحمد (٣/ ٩٩، ١٧٩، ٢٠٦، ٢٥٣، ٢٨٨) وروى ابن إسحاق طرفا منه بدون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ١٤٤)، ابن هشام (٣/ ١١٥)، بإسناد منقطع، وفيه ربيح ـ مقبول، ولم يذكر الآية.

(٧٤) مسلم (٣/ ١٤١٧/ح ١٧٩١).

(٧٥) الفتح (١٥/ ٢٥٢/ح ٤٠٧٣ ـ ٤٠٧٥).

(٧٦) ذكر ابن إسحاق بدون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ١٢٤) طرفا من هذه الرواية، ولفظه: «اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه».

(٧٧) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٥١ ـ ٢٥٢/ح ٤٠٧٥).

قال رجل للنبي ﷺ: «أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: في الجنة». فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى نال الشهادة(٧٨).

وقال عبدالله بن جحش، قبل المعركة: «إني أقسم أن نلقى العدو فإذا لقينا العدو أن يقتلوني ثم يبقروا بطني ثم يمثلوا بي، فإذا لقيتك سألتني: فيم هذا؟ فأقول: فيك»، وعندما لقي العدو وفعل بهم مافعل وجدوه بالحالة التي وصفها(٧٩).

وشهد عمرو بن الجموح القتال مع أبنائه الأربعة على الرغم من محاولتهم إثناءه عن الخروج بحجة أن الله يعذره لشدة عرجه، وطلب منهم الرسول ﷺ أن يدعوه مادام راغبا في الشهادة، ومما قاله للرسول ﷺ: «أرأيت إن قتلت اليوم أأطأ بعرجتي هذه الجنة؟ قال نعم. قال: فوالذي بعثك بالحق لأطأن بها الجنة اليوم إن شاء الله. ثم قاتل حتى نال ما أراد من الشهادة(٨٠).

وعلى الرغم من أن الله قد عذر الشيوخ الضعفاء إلا أن اليمان وثابت ابن وَقْش أبيا البقاء مع الذرية في الحصون فلحقا بالميدان طلبا للشهادة، وقد استشهد ثابت على يد الكفار وقتل المسلمون اليمان خطأ، ووداه الرسول ﷺ، ولكن ابنه حذيفة تصدق بدية أبيه، مما زاده عند الرسول ﷺ خيرا(٨١).

وكان حَنْظَلَة بن أبي عامر عروسا ليلة أحد، فعندما سمع النداء، عجل بالخروج ولم يغتسل، وقاتل حتى استشهد. وعندما رآه الرسول ﷺ، قال: «إن صاحبكم لتغسله الملائكة»، ولذا عرف بعد ذلك بـ«غسيل الملائكة»

---

(٧٨) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٣٠/ح ٤٠٤٦).

(٧٩) رواه الحاكم (٣/ ١٩٩) من مرسل سعيد بن المسيب، وقال: وهذا حديث على شرط الشيخين لولا إرسال فيه. وقال الذهبي: «مرسل صحيح».

(٨٠) ابن المبارك: كتاب الجهاد، ص ٦٩، من مرسل عكرمة وابن إسحاق بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/ ١٣٢). وأحمد في مسنده (٥/ ٢٩٩) مختصرا من طريق ابن إسحاق ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نصر الأنصاري وهو ثقة كما في المجمع (٩/ ٣١٥)، ويكون الحديث صحيحا من طريق أحمد.

(٨١) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن - ابن هشام (٣/ ١٢٧)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٠٢) وصححه ووافقه الذهبي، والواقدي (١/ ٢٣٢).

أو «الغسيل»[٨٢].

وقاتل مُخَيْريق مع رسول الله ﷺ حتى قتل، وكان مثالا وقدوة حسنة لليهود الذين أسلموا. وحين خرج إلى المعركة قال: «إن أصبت فمالي لمحمد ﷺ، يصنع فيه ما يشاء»[٨٣]. فقال رسول الله ﷺ: «مخيريق خير يهود»[٨٤].

وكان أُصَيْرِم بني عبدالأشهل ـ عمرو بن أُقَيْش ـ كارها للإسلام حتى كان يوم أحد، أسلم ولحق بالمسلمين في أحد، فقاتل حتى نال الشهادة، وما صلى لله صلاة واحدة[٨٥].

وإن كان قد فات حسان بن ثابت (رضي الله عنه) شرف الجهاد بالسيف في هذه الغزوة وغيرها، إلا أنه لم يفته شرف الكلمة القوية في تخليد ذكرى بطولات المسلمين في هذه الغزوة وغيرها.

لقد كان حسان من أصحاب الأعذار. فقد ذكر الكلبي[٨٦] أن الجبن لم يكن من عادة حسان، بل كان شجاعا لسنا، فأصابته علة منعته من شهود القتال. وأوضح الواقدي[٨٧] هذه العلة، وهي أن أكحله[٨٨] كان قد قطع، فلم يكن يستطيع الضرب بيد. وهذا يفسر لنا الروايات التي وردت في تخلفه عن القتال، مثل رواية الطبراني[٨٩]. التي فيها انه كان مع الذرية في حصن فارع يوم أحد، فجاء يهودي وأخذ يطل على الحصن، فطلبت

---

(٨٢) رواه ابن إسحاق معلقا ـ ابن هشام (٣/ ١٠٧ ـ ١٠٨)، ووصله الحاكم (٣/ ٢٠٤) وصححه ووافقه الذهبي.
وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٣٦/ رقم ٣٢٦) وهو من طريق ابن إسحاق.

(٨٣) رواه ابن إسحاق معلقا ـ ابن هشام (٣/ ١٢٩).

(٨٤) رواه ابن إسحاق بلاغا ـ ابن هشام (٣/ ١٣١)، وابن سعد (١/ ٥٠١) من طريق الواقدي، والواقدي (١/ ٢٦٣).

(٨٥) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن ـ ابن هشام (٣/ ١٣١) ـ انظر الإصابة (٢/ ٥١٩) ـ وأبوداود في السنن (٣/ ٤٣/ ك. الجهاد/ح ٢٥٣٧)، والحاكم (٣/ ٢٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٨٦) نقله عنه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤/ ١٤٠).

(٨٧) نقله عنه الأصفهاني في أغانيه (٤/ ١٦).

(٨٨) الأكحل: عرق في اليد.

(٨٩) الهيثمي: المجمع (٦/ ١١٤) وفي سنده جعفر بن الزبير وهو متروك كذاب وضاع يروي المناكير. انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٤٠٦)، ورواه الطبراني أيضا عن عروة بإسناد مرسل (المجمع ٦/ ١٣٥). ورواه أبويعلى في مسنده (١/ ٨٤) ونقله عنه الهيثمي في المجمع (٦/ ١٣٤) وضعف إسناده. وصحح الزرقاني في المواهب (٢/ ١١) إسناده على الرغم من أن فيه جعفر بن الزبير.
ورواه البزار في الكشف (٢/ ٢٢٣ ـ ٢٣٤) وضعف الهيثمي إسناده.

صفية بنت عبدالمطلب من حسان أن يقوم إليه فيقتله: «ماذاك في ولو كان لكنت مع رسول الله ﷺ»، فقتلته صفية وطلبت من حسان أن يرميَ برأسه إلى اليهود أسفل الحصن، فاعتذر أيضا، فرمته إليهم، فتفرقوا لأنهم ظنوا أن بالحصن رجالا محاربين.

وذكر البلاذري[٩٠] واليعقوبي[٩١] كذلك أن القصة كانت يوم أحد. والذي ذكره ابن إسحاق[٩٢] وغيره أنها كانت يوم الخندق.

لم تأت قصة حسان مع صفية بطريق يحتج بها، ومما يجعلنا نقبل رواية الواقدي والكلبي ـ على ما بهما من علل ـ لأننا نعلم أن حسانا كان يهاجي الشعراء في الجاهلية والإسلام، ولم يرمه أحد منهم بجبن، ولو كان مثل حديث الطبراني صحيحا لكان مما يذكر في الشعر ويذم به كما ذم هو غير واحد، وهجاه بالفرار من القتال والجبن، إضافة إلى أن عدم شهود حسان القتال كان لكبر سنه كما ذكر محققا سيرة ابن هشام[٩٣]. وزاد ابن عبدالبر[٩٤] ما قيل في تفسير تخلف حسان عن المواقع، فقال: «. . . وَهُجِيَ بذلك ابنه عبدالرحمن، فإنه كان كثيرا ما يهاجي الشعراء العرب مثل النجاشي وغيره».

وممن قاتل يوم أحد، وليس بنية الجهاد في سبيل الله، ولكن بنية حماية الأحساب، فكان من أهل النار: قُزْمَان، الذي قتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان الرسول ﷺ إذا ذكر له يقول: «إنه لمن أهل النار»، ولما كان يوم أحد قتل نفسه عندما أثخنته الجراح[٩٥]. وكان هذا من دلائل

(٩٠) أنساب الأشراف (١/ ٣٢٤).
(٩١) تاريخه (٢/ ٤٨).
(٩٢) ابن هشام (٣/ ٣١٧ ـ ٣١٩) بإسناد منقطع.
(٩٣) انظر في هذا كلامهما وكلام الخشني عند ابن هشام (٣/ ٣١٨) وكلام السهيلي في روضه (٣/ ٢٨١) والباكري في رسالته: مرويات غزوة أحد، ص ص ٢٦٠ ـ ٢٦٤.
(٩٤) الدرر، ص ١٨٦.
(٩٥) روى قصته ابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٣/ ١٢٩)، ووصله أبويعلى من طريق أخرى بإسناد صحيح كما ذكر الهيثمي في المجمع (٦/ ١١٦) ولكن لم يسم الرجل، وفيه أن النية هي الأساس. ورواه البخاري/ الفتح (١٦/ ٤٨ ـ ٤٩/ح ٤٢٠٢) ولم يسم الرجل في الطريقين، وفي الطريق الأولى لم يسم حتى الغزوة، وفي الثانية ذكر أنها خيبر، ورواها مسلم من طريقين (١/ ١٠٥ ـ ١٠٦/ح ١١١) في الطريق الأولى أن الغزوة هي حنين، وفي الثانية أنهم الغزوة، وفي الطريقين لم يسم الرجل. ورواه أحمد في المسند (٤/ ١٣٥) وفيه أنها غزوة خيبر. ورواها الواقدي (١/ ٢٦٣) ووافق ابن إسحاق بإن اسم الرجل: قزمان. ونرى مع الباكري ص ٢٤٩ أنه لا خلاف بين الروايات وأن الجمع ممكن بتعدد القصة ـ والله أعلم.

نبوة محمد ﷺ ودليل على أن النية في الجهاد هي الأساس.

لقد رافقت بعض النسوة جيش المسلمين ليسقين العطشى، ذكر منهن أم عمارة[٩٦]، وحَمْنَة بنت جَحْش الأسدية[٩٧] وأم سُلَيْط[٩٨]، وام سُلَيْم وعائشة أم المؤمنين[٩٩].

وروى مسلم[١٠٠] أن رسول الله ﷺ كان يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء ويداوين الجرحى.

وقد أرسل الله تعالى جبريل وميكائيل ليقاتلا دفاعا عن الرسول ﷺ[١٠١].

وكان الله قد وعد المؤمنين إن هم صبروا واتقوا وأتوا الأعداء من فورهم، فسيمدهم بالملائكة، ولما لم يحصل ذلك منهم فلم يتحقق الوعد[١٠٢]، وفي هذا يقول تعالى: ﴿إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين. بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين[١٠٣]﴾[١٠٤].

---

(٩٦) روى ابن هشام قصتها يوم أحد بإسناد منقطع (٣/١١٨) والواقدي (١/٢٦٨ - ٢٦٩)، وابن سعد (٨/٤١٢ - ٤١٥) من طريق الواقدي.

(٩٧) رواه الطبراني بإسناد حسن كما قال الهيثمي في المجمع (٩/٢٩٢). وقد ورد بطرق ضعيفة ما يفهم من أنها لم تشهد المعركة، وأنها عندما لقيت الناس وهم رجوع من المعركة نعي إليها أخوها عبدالله وخالها حمزة فاسترجعت واستغفرت لهما، وعندما نعي اليها زوجها مصعب، صاحت وولولت فقال رسول الله ﷺ: «إن زوج المرأة منها لبمكان!» لما رأى من ثبتها عند خبر إصابة أخيها وخالها وصياحها على زوجها. رواه ابن إسحاق دون إسناد - ابن هشام (٣/١٤٤) وابن ماجه (١/٥٠٧/ك. الجنائز/ ب. ما جاء في البكاء على الميت) وفي إسناده عبدالله العمري، وهو ضعيف. وحمنة هي أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين.

(٩٨) البخاري/ الفتح (١٥/٢٤٥/ح ٤٠٧١) وفيه أنها كانت تزفر القرب يوم أحد. وهي والدة أبي سعيد الخدري. كانت زوجا لأبي سليط فمات عنها قبل الهجرة فتزوجها مالك بن سنان الخدري فولدت له أبا سعيد. قاله ابن حجر في شرح حديث الباب وانظر: البخاري/ الفتح (١٢/٣١ - ٣٢/ح ٢٨٨٠ - ٢٨٨٣).

(٩٩) البخاري/ الفتح (١٥/٢٣٨- ٣٩/ح ٤٠٦٤). ورواه كذلك في كتاب الجهاد ورقمه ٢٨٨٠، ومسلم (٣/١٤٤٣/ح ١٨١١) وفيه أنهما كانتا تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواههم.

(١٠٠) صحيحه (٣/١٤٤٣/ح ١٨١٠).

(١٠١) البخاري/ الفتح (١٥/٢٣٤ - ٢٣٥/ح ٤٠٥٤) ولم يسم الملكين، بل قال: رجلين... وسماهما مسلم في روايته (٤/١٨٠٢/ح ٢٣٠٦).

(١٠٢) انظر عرجون: محمد رسول الله ﷺ (٣/٣٩٥/ وما بعدها) والعمري: المجتمع المدني - الجهاد، ص ٧٩.

(١٠٣) آل عمران: ١٢٤ و١٢٥.

(١٠٤) انظر تفسير الآية عند الطبري (٧/١٣٧ - ١٩٠) والراجح عند الطبري وغيره هو ما ذكرناه، والكلام كثير في هذه القضية، فليراجع عند عرجون والطبري وغيرهما، لتمام الفائدة.

وأنزل الله تعالى النعاس على طائفة المؤمنين الذين اغتموا بما وقع للرسول ﷺ وإخوانهم يوم بدر فناموا يسيرا ثم أفاقوا وقد قذف الله في قلوبهم الطمأنينة، التي أعادت لهم بعض نشاطهم ليواصلوا الدفاع عن نبيهم. وكان أبوطلحة الأنصاري فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفه من يده مرارا فيأخذه[١٠٥]. وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةً نعاسا يغشى طائفة منكم...﴾ أما طائفة المنافقين، سواء التي انسحبت مع ابن سلول أو فلولهم التي سارت مع المؤمنين فقد قال الله عنهم في الآية نفسها: ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، يقولون هل لنا من الأمر من شيء. قل إن الأمر كله لله، يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك، يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا...﴾[١٠٦].

لقد حاول المشركون جهد طاقتهم قتل الرسول ﷺ ولكن الله عصمه منهم. فقد روي أن أبيا بن خلف كان يتوعد الرسول ﷺ بمكة بأنه سيقتله يوما ما، فيقول الرسول ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله»[١٠٧]، فلما كان يوم أحد لحق بالنبي ﷺ في الشعب وهو يقول: «أي محمد، لا نجوت إن نجوت، فقال القوم يارسول الله: أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله ﷺ: دعوه. «فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة مال منها على فرسه مرارا[١٠٨]، ورجع إلى قريش وبه خدش غير كبير، فاحتقن الدم، فقال: «قتلني والله محمد!» وطمأنه قومه بأن ليس به بأس، فقال لهم ماقال له محمد ﷺ بمكة،

---

(١٠٥) البخاري/ الفتح (١٥/٢٤٢/ح ٤٠٦٨)

(١٠٦) آل عمران: ١٥٤. وانظر تفسير الآية وما ورد فيها من آثار صحيحة عند الطبري في تفسيره (٧/ ٣١٥ - ٣٢٣)، وابن حجر في شرح حديث الباب، وابن كثير في تفسيره (٢/ ١٢٤ - ١٢٦).

(١٠٧) ابن إسحاق، بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/١٢٢)، والواقدي (١/ ٢٥١) وابن سعد (٢/ ٤٦) مرسلا عن سعيد بن المسيب، ووصله الواحدي في أسباب النزول، ص ٥٦، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٥٨ - ٥٩) مرسلا عن عروة، وفي سنده ابن لهيعة، وحديثه حسن. ومرسلا عن موسى ابن عقبة عن الزهري عن سعيد بن المسيب (٣/ ٢١١ - ٢١٢)، ومراسيل ابن المسيب قوية، والطبري في التفسير (٧/ ٢٥٥) من مرسل السدي.

(١٠٨) ابن إسحاق، معلقا - ابن هشام (٣/ ١٢١ - ١٢٢).

ثم قال: «فوالله لو بصق علي لقتلني». فمات عدو الله بسَرِف، وهم قافلون به إلى مكة[١٠٩]. وهذا من علامات ودلائل نبوة محمد ﷺ.

وعندما صمد المسلمون واستماتوا دفاعا عن النبي ﷺ فشل المشركون في محاولات الاختراق إليه، وأعيتهم المجالدة، ولم يملك أبوسفيان إلا أن يتوعد المسلمين بحرب أخرى في العام القادم، فوافق الرسول ﷺ على ذلك[١١٠]. وقد ثبت أن أبا سفيان أشرف على المسلمين، وقال: «أفي القوم محمد؟ فقال ﷺ: لا تجيبوه، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: لا تجيبوه، قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت ياعدو الله، أبقى الله عليك ما يحزنك، قال أبوسفيان: اعلُ هبل، فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول قال: قولوا: الله أعلى وأجل. قال أبوسفيان: لنا العزى ولاعزى لكم، فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم. قال أبوسفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال. وتجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤني»[١١١]، وفي رواية عند أحمد[١١٢] وابن إسحاق[١١٣] قال عمر: «لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار».

وعندما انصرف المشركون مكتفين بما نالوه من المسلمين، بعث رسول الله ﷺ عليا بن أبي طالب، وقال له: «أخرج آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأناجزنهم»، وفعل علي ما أمر به، فوجدهم قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة[١١٤].

---

(١٠٩) ابن إسحاق، بإسناد منقطع - ابن هشام (٣/١٢٢ - ١٢٣).

(١١٠) رواه ابن إسحاق معلقا بدون إسناد - ابن هشام (٣/١٣٦)، الواقدي (١/٢٩٧).

(١١١) البخاري/ الفتح (١٥/٢٢٧ - ٢٢٨/ح ٤٠٤٣).

(١١٢) المسند (٤/٢٠٩، ٦/١٨١) بإسناد حسن.

(١١٣) ابن هشام (٣/١٣٦) بدون إسناد.

(١١٤) ابن إسحاق، بدون إسناد - ابن هشام (٣/١٣٦ - ١٣٧)، الواقدي (١/٢٩٨)، والبيهقي في الدلائل (٣/٢٨٢) مرسلا عن عروة وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن. وعند الواقدي والبيهقي أن المرسل للاستطلاع هو سعد بن أبي وقاص، وقد قوى العمري قول ابن إسحاق - انظر: المجتمع المدني - الجهاد، ص ٨١.

وانجلت المعركة عن سبعين شهيدا من المسلمين[١١٥]، واثنين وعشرين قتيلا من المشركين[١١٦].

وخرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده، ومثل به، فجدع أنفه و أذناه[١١٧]. وقال رسول الله ﷺ حين رأى مابه: «لولا أن تحزن صفية، ويكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم»، فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمه مافعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب[١١٨].

---

(١١٥) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٢٦/ح ٤٠٤٣)، وعند ابن إسحاق دون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ١٧٩) ـ خمسة وستون رجلا وذكرهم، وذكر ابن هشام أسماء خمسة تمام السبعين (٣/ ١٧٩ ـ ١٨٠)، وعند الواقدي (١/ ٢٠٠) أربعة وسبعون... انظر الباكري، ص ص ٣٦٧ ـ٣٦٩.

(١١٦) ابن إسحاق، بدون إسناد ـ ابن هشام (٣/ ١٨٢)، وقال الواقدي (١/ ٣٠٧): سبعة وعشرون. وعند ابي سعد (٢/ ٤٢): ثلاثة وعشرون... وانظر الباكري ص ٣٦٩.

(١١٧) ذكره ابن إسحاق معلقا ـ ابن هشام (٣/ ١٣٨).

(١١٨) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٣/ ١٣٨ ـ ١٣٩)، وروي عن طريقه وعن طريق آخرين، وكلها أسانيد ضعيفة... انظر: ابن هشام (٣/ ١٣٨ ـ ١٣٩) حاشية المحققين. ولهذا الحديث شواهد، منها (١) حديث أبي هريرة الذي رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٩٧) وابن سعد في الطبقات (٢/ ١٣ ـ ١٤) والبزار في مسنده (٢/ ٣٢٦ ـ ٢٧) والطبراني في الكبير (٣/ ١٥٦ ـ ٥٧/ح ٢٩٣٦) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٨٨) والواحدي في أسباب النزول (ص ٢٩١) وابن عدي في الكامل (٤/ ١٣٨١)، جميعهم من طريق صالح بن بشير المري، وهو ضعيف (٢) حديث ابن عباس، الذي أخرجه ابن إسحاق (ابن هشام ٣/ ١٤٠) بإسناد ضعيف، لإبهام ابن إسحاق اسم من حدثه. وصح من غير هذا الطريق كما رواه الترمذي (٥/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠) وأحمد كما في الفتح الرباني (١٨/ ١٩٢ ـ ١٩٣) والحاكم (٢/ ٣٥٩) وصححه ووافقه الذهبي. ويستأنس بمرسل محمد ابن كعب القرظي الضعيف جداً، والذي رواه ابن إسحاق (ابن هشام ٣/ ١٤٠) وذلك لعلتي الإرسال وكون شيخه بريدة بن سفيان من المتروكين؛ وكذلك يستأنس بمرسل عطاء بن يسار الضعيف جداً، والذي رواه ابن إسحاق كما نقله عنه ابن كثير في التفسير (٢/ ٥٩٢) وذلك لأنه لم يصح إلى مرسله، وفيه رجل مبهم لم يسم كما ذكر ابن كثير. ومثله لا يصلح للاستشهاد.

وأصل الحديث أخرجه الترمذي (٨/ ٥٥٩ ـ ٥٦٠/ح ٥١٣٦) وعبدالله بن الإمام احمد في الزوائد (٥/ ١٣٥) والطبراني في الكبير (٣/ ١٥٧/ح ٢٩٣٧) وابن حبان في صحيحه (ص ٤١١/ح ١٦٩٥) والحاكم (٢/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩)، جميعهم من حديث أبي بن كعب. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وصححه الحاكم وأقره الذهبي والألباني في السلسلة الضعيفة (٢/ ٢٨ ـ ٢٩).

وبالجملة فالحديث صحيح لغيره بمجموع هذه الشواهد.

وانظر تحقيق احاديث التمثيل بحمزة يوم أحد ونزول الآية المذكورة في هذا، عند سعد بن عبدالله الحميد: مختصر تلخيص الذهبي لمستدرك الحاكم لابن الملقن ـ القسم الثاني من أول كتاب معرفة الصحابة إلى نهاية الكتاب ـ رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين ـ السنة وعلومها، ١٤٠٧هـ.

ونزل قول الله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. . .﴾[119]. فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثلة[120].

وعن قصة التمثيل بجثة حمزة (رضي الله عنه) فقد روى موسى بن عقبة[121] أن وحشياً بقر عن كبد حمزة وحملها إلى هند بنت عتبة فلاكتها فلم تستطع أن تستسيغها.

وروى ابن إسحاق[122] أن هنداً هي التي بقرت عن كبد حمزة، وزاد أن هنداً اتخذت من آذان الرجال وأنفهم خدماً (أي خلاخل) وقلائد، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشياً.

وروى الواقدي[123] أن وحشياً عندما قتل حمزة حمل كبده إلى مكة ليراها سيده جبير بن مطعم.

وذكر الشامي[124] أن الواقدي والمقريزي ـ في الإمتاع ـ رويا أن وحشياً شق بطن حمزة وأخرج كبده وجاء بها إلى هند فمضغتها ثم لفظتها، ثم جاءت معه إلى حيث جثة حمزة، فقطعت من كبده وجدعت أنفه وقطعت أذنيه ثم جعلت مَسَكَتين ومعضدين وخدمتين حتى قدمت بذلك مكة.

ولعل رواية الواقدي والمقريزي التي أشار إليها الشامي تفيد الجمع بين روايتي ابن عقبة وابن إسحاق، وتوافقهما في المضمون.

أما التمثيل بجثة حمزة فقد ثبت بطرق صحيحة كما ذكرنا، مما يدل على أن قصة بقر كبد حمزة ـ التي ذكرها بعض أهل المغازي والسير ـ لها أصل.

وسجلت لبعض النساء المسلمات مواقف إيمانية رائعة في تقبلهن مصابهن

---

(١١٩) النحل: ١٢٦.

(١٢٠) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع ـ ابن هشام (٣/ ١٤٠)، ورواه من غير طريق ابن إسحاق: الترمذي (٥/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠) وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وأحمد في المسند الفتح الرباني (١٨/ ١٩٢ ـ ١٩٣) والواحدي في أسباب النزول ص ص ١٩١ ـ ١٩٢ والحاكم ٢/ ٣٥٩ بمثل رواية الترمذي وأحمد، وصححه ووافقه الذهبي.

(١٢١) ذكره ابن كثير: البداية والنهاية (٤/ ٤٣) دون إسناد، فهو ضعيف.

(١٢٢) ابن هشام (٣/ ١٣٣) بإسناد منقطع موقوف على شيخه ابن كيسان، فهي ضعيفة.

(١٢٣) المغازي (١/ ٣٣٢) ـ والواقدي متروك، فروايته ضعيفة جداً.

(١٢٤) سبل الهدى والرشاد (٤/ ٣٢١).

في أهليهن وفرحهن بحياة الرسول ﷺ. ومن أمثلة ذلك أن الرسول ﷺ مر هو وأصحابه بامرأة من بني دينار[١٢٥]، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نُعُوا لها قالت: «فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرا ياأم فلان. هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟ فأشير إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل» ـ أي صغيرة[١٢٦].

وعندما أقبلت صفية ـ أخت حمزة ـ لتنظر إليه، طلب الرسول ﷺ من ابنها الزبير أن يرجعها حتى لا ترى ما بأخيها من مثلة، فقالت: «ولم؟ وقد بلغني أن قد مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لاحتسبن ولأصبرن إن شاء الله». وعندما أخبر الزبير النبي ﷺ بقولها، أمره بأن يخلي سبيلها، فأتته فنظرت إليه، فصلت عليه واسترجعت واستغفرت له، ثم أمر به فدفن[١٢٧].

وقد روى البخاري[١٢٨] وأبوداود[١٢٩] أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: «أيهم أكثر أخذا للقرآن؟ فإذا أشير لأحد قدمه في اللحد، وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة» وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم، ولم يغسلوا. . . ، ودفن الاثنان والثلاثة

---

(١٢٥) وقد صرح الواقدي باسمها، وهي السمبراء بنت قيس ـ المغازي (١/ ٢٩٢)، ويفهم من حديث الواقدي أن عائشة لم تشهد المعركة مع المسلمين، وهذا مخالف لما في الصحيح كما ذكرنا من قبل. ويمكن الجمع بين القولين بأن تكون قد جاءت إلى ميدان المعركة في الجولة الثانية، التي امتحن الله فيها المؤمنين.

(١٢٦) رواه ابن إسحاق ـ ابن هشام (٣/ ١٤٥ ـ ١٤٦) وحسن الباكري إسناده، ص٢٨٣، إستنادا على سند ابن إسحاق المتصل في تاريخ ابن كثير (٤/ ٥٣)، لأن الإسناد في سيرة ابن هشام منقطع، ولم يفطن محققا سيرة ابن هشام لرواية ابن هشام، ولذلك ضعفا الحديث.

(١٢٧) رواه ابن إسحاق بلاغا ـ ابن هشام (٣/ ١٤١ ـ ١٤٢) وروى قريبا منه أحمد في مسنده (١/ ١٦٥) والبزار في مسنده انظر كشف الأستار (٢/ ٣٢٨) وأبويعلى في مسنده (٢/ ٤٥ ـ ٤٦)، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠) وقد صحح محققا سيرة ابن هشام إسنادهم، وفيه أنها عندما جاءت كان معها ثوبان لتكفين حمزة وعندما وجدوا أنصاريا بالقرب منه وفعل به ما فعل بحمزة، وجد رسول الله ﷺ غضاضة في أن يكفن حمزة في ثوبين والأنصاري الشهيد لاكفن له، فقال: «للأنصاري ثوب ولحمزة ثوب»، ولأن أحد الثوبين كان أكبر من الآخر فقد قرعوا بينهما، فكفنوا كل واحد منهما في ثوب.

(١٢٨) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٥٥/ح ٤٠٧٩).

(١٢٩) سننه (٢/ ١٧٤/ك. الجنائز/ ب. في الشهيد هل يغسل) بإسناد رجاله ثقات والأحاديث التي وردت في الصلاة عليهم لا تقوى على معارضة أحاديث نفي الصلاة عليهم. انظر: (٣/ ٤٩٨/ح ٣١٣٤ و٣١٣٥)، و(٣/ ٥٤٧/ح ٣٢١٥)، و(٣/ ٥٠١/ح ٣١٣٦) وح/ ٣١٣٨).

في قبر واحد[١٣٠]، وأمر الرسول ﷺ أن يدفنوا حيث صرعوا، فأعيد من أخذ ليدفن داخل المدينة[١٣١].

وبعد الدفن، صف الرسول ﷺ أصحابه وأثنى على ربه ثم دعا الله أن يعطيهم نعيم الدنيا والآخرة وأن يقتل الكفرة المكذبين[١٣٢].

وكان يتمنى أن يمضي شهيدا مع أصحابه الذين استشهدوا يوم أحد[١٣٣] وقد أثنى عليهم عندما سمع عليا يقول لفاطمة: «هاكِ السيف فإنها قد شفتني»، فقال له: «لئن كنت أجدت الضرب بسيفك، لقد أجاد سهل ابن حنيف وأبو دجانة وعاصم بن ثابت الأقلح والحارث بن الصمة[١٣٤].

وبشر الرسول ﷺ المسلمين بما نال الشهداء من عظيم الأجر، فقد قال عندما سمع بكاء فاطمة بنة عبدالله بن عمرو والد جابر: «ولم تبكي؟ فمازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع[١٣٥]، وفي رواية قال عن بكائها: «تبكيه أو لا تبكيه، مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه»[١٣٦].

ونزل في شهداء أحد قول الله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾[١٣٧]. فقد روى مسلم[١٣٨] أن

---

(١٣٠) الترمذي (٥/ ٣٧١/ تحفة الأحوذي/ ك. الجنائز/ ب. ترك الصلاة على الشهيد، وقال: «حسن صحيح»، ووافقه الألباني: صحيح الترمذي (٢/ ١٤٢/ ك. الجهاد/ح ١٧٨٢)، والدعاس (٦/ ٣٤/ الجهاد/ح ١٧١٣)، وانظر: ابن إسحاق بإسناد مرسل (ابن هشام (٣/ ١٤٢ - ١٤٣).

(١٣١) سنن أبي داود (٣/ ٥١٤/ ك. الجنائز/ح ٣١٦٥)، والترمذي (٥/ ٢٧٩/ الجهاد/ح ١٧١٧)، تحفة الأحوذي) وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وأحمد: الفتح الرباني (٨/ ١٤٩) بإسناد صحيح، والنسائي (٤/ ٧٩/ ك. الجنائز/ب. أين يدفن الشهيد/ح ٢٠٠٦) بإسناد حسن، رجاله ثقات إلا نبيح العنزي، فهو مقبول - التقريب، ص ٥٥٩، وابن ماجة في الجنائز/ح ١٥١٦).

(١٣٢) انظر الدعاء بتمامه في مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٢٤/ط. المكتب الإسلامي) ومستدرك الحاكم (٣/ ٢٣)، وصححه ووافقه الذهبي.

(١٣٣) رواه أحمد في المسند: الفتح الرباني (٢١/ ٥٨) بإسناد حسن.

(١٣٤) رواه الحاكم (٣/ ٢٤) وصححه وأقره الذهبي، والطبراني كما في المجمع (٦/ ١٢٣)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح».

(١٣٥) مسلم (٤/ ١٩١٧ - ١٩١٨/ح ٢٤٧١).

(١٣٦) البخاري/ الفتح (١٥/ ٢٥٥/ح ٤٠٨٠) و(٦/ ١٤١/ح ١٢٤٤)، مسلم (٤/ ١٩١٨/ح ٢٤٧١).

(١٣٧) آل عمران: ١٦٩. ورواه الإمام أحمد: المسند (٤/ ١٢٣)، وأبوداود: السنن (٣/ ١٥) والترمذي (٨/ ١٨٨ - ١٧٨٩/ك التفسير/ح ٣٠١٣، ٣٠١٤)، وقال عن الأول: «حسن غريب»، وعن الثاني: «حسن صحيح». والحاكم (٣/ ٨٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(١٣٨) صحيحه (٣/ ١٥٠٢ - ١٥٠٣/ح ١٨٨٧) ورواه غير واحد من أصحاب السنن. وانظر الشوكاني: فتح القدير (١/ ٣٩٩) حيث فيه أقوال العلماء في هذه الحياة المحققة للشهداء.

الصحابة (رضي الله عنهم) سألوا ابن مسعود عن هذه الآية، فقال: «أما انا قد سألنا عن ذلك. فقال: أرواحهم في جوف طير خضر. لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت. ثم تأوي إلى تلك القناديل...» ولذا قال العلماء إن حياة الشهداء حياة محققة حسبما جاء في هذا الحديث(١٣٩).

وعندما عاد الرسول ﷺ من أحد سمع بكاء نساء الأنصار على من قتل من أزواجهن، فقال: «ولكن حمزة لا بواكي له»، وعندما استيقظ من نومه سمع بكاءهن وندبهن بحمزة(١٤٠)، ونهى يومئذ عن النوح(١٤١).

ونزلت آيات قرآنية كثيرة - غير التي ذكرناها - سجلت الجوانب المختلفة لهذه الغزوة التي كانت درسا تربويا كبيراً للمسلمين(١٤٢)، ومنها قوله تعالى:

١ - ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعْلَوْن إن كنتم مؤمنين﴾(١٤٣).

٢ - ﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾(١٤٤).

٣ - ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾(١٤٥).

٤ - ﴿وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذَ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين﴾(١٤٦).

٥ - ﴿ولقد كنتم تَمَنَّوْنَ الموت من قبل أن تلقَوْه، فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾(١٤٧).

---

(١٣٩) انظر الشوكاني: فتح القدير (١/ ٣٩٩)، إستنادا إلى حديث الترمذي (٨/ ١٨٨ - ٨٩/ح ٣٠١٣، ٣٠١٤).

(١٤٠) رواه أحمد في المسند (٧/ ٨٢) وصحح شاكر إسناده، والحاكم (١/ ٣٨١) مختصرا من آخره، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه ابن سعد (٣/ ١٦) بإسناد رجاله ثقات ماعدا أسامة بن زيد الليثي، ففيه ضعف يسير، فيقوى حديثه بالشواهد التي ذكرها ابن سعد عقب هذا الحديث، وحديث أحمد والحاكم، ورواه ابن إسحاق معلقا - ابن هشام (٣/ ١٤٤ - ١٤٥).

(١٤١) قاله ابن هشام معلقا (٣/ ١٤٥)، وابن سعد (٣/ ١٧).

(١٤٢) انظر جزءا كبيرا من هذه الآيات عند ابن إسحاق - ابن هشام (٣/ ١٥٤ - ١٧٤).

(١٤٣) آل عمران: ١٣٩.

(١٤٤) آل عمران: ١٤٠.

(١٤٥) آل عمران: ١٤٢.

(١٤٦) آل عمران: ١٤٠.

(١٤٧) آل عمران: ١٤٣. وانظر تفاسير هذه الآيات في كتب التفسير.

٦ ـ ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا، وسيجزي الله الشاكرين﴾[١٤٨].

٧ ـ ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا﴾[١٤٩].

٨ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾[١٥٠].

٩ ـ ﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون﴾[١٥١].

لقد نزلت حول موضوع هذه المعركة ثمان وخمسون آية من سورة آل عمران، تبتدىء بذكر أول مرحلة من مراحل المعركة: ﴿وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال﴾[١٥٢]، وتترك في نهايتها تعليقا جامعا على نتائج المعركة وحكمتها: ﴿ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب، وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء، فآمنوا بالله ورسله، وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم﴾[١٥٣].

ب ـ أحكام وحكم وعظات وعبر من غزوة أحد:

عقد ابن القيم[١٥٤] فصلا فيما اشتملت عليه هذه الغزوة من الأحكام الفقهية، ننقلها هنا باختصار لتعميم الفائدة:

١ ـ إن الجهاد يلزم بالشروع فيه، حتى إن استعد له وتأهب للخروج، ليس له أن يرجع عن ذلك حتى يقاتل عدوه.

٢ ـ إنه لا يجب على المسلمين إذا طرقهم عدوهم في ديارهم الخروج إليه،

---

(١٤٨) آل عمران: ١٤٤.
(١٤٩) آل عمران: ١٤٥.
(١٥٠) آل عمران: ١٤٩.
(١٥١) النساء: ١٠٤
(١٥٢) آل عمران: ١٢١.
(١٥٣) آل عمران: ١٧٩.
(١٥٤) زاد المعاد (٣/٢١١ ـ ٢١٢) وما يوضع بين معكوفتين فمني.

بل يجوز لهم أن يلزموا ديارهم، ويقاتلوهم فيها إذا كان ذلك أنصر لهم على عدوهم، كما أشار به رسول الله ﷺ عليهم يوم أحد.

٣ ـ جواز سلوك الإمام بالعسكر في بعض أملاك رعيته إذا صادف ذلك طريقه، وإن لم يرض المالك، كما كان حال مربع بن قيظي مع الرسول ﷺ وجيشه.

٤ ـ إنه لا يأذن لمن لا يطيق القتال من الصبيان غير البالغين، بل يردهم إذا خرجوا، كما رد رسول الله ﷺ ابن عمر ومن معه.

٥ ـ جواز الغزو بالنساء والاستعانة بهن ـ فيما دون القتال مثل السقي والتطبيب.

٦ ـ جواز الانغماس في العدو، كما انغمس أنس بن النضر وغيره.

٧ ـ إن الإمام إذا أصابته جراحة صلى بأصحابه قاعدا، وصلوا وراءه قعودا كما فعل رسول الله ﷺ واستمرت على ذلك سنته إلى حين وفاته(١٥٥).

٨ ـ جواز دعاء الرجل وتمنيه أن يقتل في سبيل الله، وليس ذلك من تمني الموت المنهي عنه، كما فعل عبدالله بن جحش.

٩ ـ إن المسلم، إذا قتل نفسه، فهو من أهل النار، كما في حال قزمان.

١٠ ـ السنة في الشهيد أن لا يغسل ولا يكفن في غير ثيابه، بل يدفن فيها بدمه، إلا أن يسلبها العدو، فيكفن في غيرها. والحكمة في ذلك كما روى الترمذي(١٥٦)، «حتى يلقوا ربهم بكلومهم ـ جروحهم ـ، ريح دمهم ريح المسك، واستغنوا بإكرام الله لهم». وكما روى ابن إسحاق(١٥٧) أن الرسول ﷺ قال عن شهداء أحد: «أنا شهيد على هؤلاء، ما من جريح يُجرَح في الله، إلا والله يبعثه يوم القيامة، يَدْمَىٰ جرحه، اللون لون دم والريح ريح مسك...».

---

(١٥٥) انظر تفاصيل ذلك في «المغني» (٢/ ٢٢٠ ـ ٢١)، و«المحلى» (٣/ ٥٩)، و«نيل الأوطار» (٣/ ١٥٩).

(١٥٦) السنن (٣/ ٤١٢ ـ ٤١٣/ أبواب الجنائز/ح ١٠٣٦/ الدعاس).

(١٥٧) ابن هشام (٣/ ١٤٢ ـ ١٤٣)، وهو من مراسيل الصحابة، واسناده حسن ونقله عنه البيهقي في الدلائل (٣/ ٢٩٠) وأحمد في المسند (٥/ ٤٣١) من طريق ابن إسحاق ولم يصرح عنده بالسماع.

١١ ـ أما الصلاة على الشهيد فقد اختلف فيها العلماء وقد رجح ابن القيم[١٥٨] أن الإمام مخير بين الصلاة عليه وتركها لمجيء الآثار بكل واحد من الأمرين.

وقد خَرَّجَ محققا الزاد[١٥٩] تلك الآثار وبينا درجتها من الصحة، ثم قالا: «ففي هذه الأحاديث مشروعية الصلاة على الشهداء لا على سبيل الإيجاب، لأن كثيرا من الصحابة استشهد في غزوة بدر وغيرها، ولم ينقل أن النبي ﷺ صلى عليهم، ولو فعل لنقل عنه، وقد جنح المؤلف ـ رحمه الله ـ في «تهذيب السنن: ٤/٣٢٩٥» إليه، فقال: «...»

١٢ ـ السنة في الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم.

١٣ ـ إن من عذره الله في التخلف عن الجهاد، لمرض أو عرج [شديد أو شيخوخة]، يجوز له الخروج إليه، وان لم يجب عليه، كما خرج عمرو بن الجَمُوح، وهو أعرج، [واليَمان والد حُذَيْفَة وثابت بن وَقْش وهما شيخان كبيران].

١٤ ـ إن المسلمين إذا قتلوا واحدا منهم في الجهاد يظنونه كافرا، فعلى الإمام دفع ديته من بيت المال، كما في واقعة قتل اليمان.

وذكر ابن القيم[١٦٠] بعض الحكم والغايات المحمودة التي كانت في غزوة أحد.

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أمهاتها وأصولها في سورة آل عمران حيث افتتح القصة بقوله: ﴿وإذ غدوت من أهلك تُبَوِّئُ المؤمنين مقاعد للقتال...﴾[١٦١] إلى تمام ستين آية من هذه السورة. نذكر هنا باختصار ما ذكره ابن القيم:

١) تعريف المؤمنين بسوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع، وأن الذي أصابهم

---

(١٥٨) تهذيب السنن (٤/ ٢٩٥).

(١٥٩) (٣/ ٢١٣ ـ ٢١٤) ـ الحاشية. فانظرها لأهميتها. جزاهما الله خيرا لما قاما به من عمل علمي قيم مفيد، تتمة للفائدة من هذا السفر العظيم.

(١٦٠) الزاد (٣/ ٢١٨ وما بعدها).

(١٦١) آل عمران: ١٢١.

هو لذلك السبب، كما قال تعالى ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تَحُسُّونَهُمْ بإذنه، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، منكم من يريد الدنيا، ومنكم من يريد الآخرة، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم﴾[١٦٢] فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول ﷺ وتنازعهم وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد حذرا ويقظة، وتحرزا من أسباب الخذلان.

٢) إن حكمة الله وسنته في رسله، وأتباعهم، جرت بأن يدالوا مرة ويدال عليهم أخرى، لكن تكون لهم العاقبة، فإنهم لو انتصروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة، فاقتضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق وما جاؤوا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة، خاصة وان هذا من أعلام الرسل كما قال هرقل لأبي سفيان: «هل قاتلتموه؟ قال: نعم. قال: كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: سجال، يدال علينا المرة، وندال عليه الأخرى. قال: كذلك الرسل تبتلى، ثم تكون لهم العاقبة»[١٦٣].

٣) ميزت محنة أحد بين المؤمن والمنافق الذي دخل الإسلام ظاهرا بعد انتصار المسلمين ببدر، وفي ذلك قال تعالى ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يَميزَ الخبيث من الطيب...﴾[١٦٤].

٤) استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون، فهم عبيده حقا، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية.

٥) لا يصلح عباده إلا السراء والضراء، فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته، فهو (سبحانه) إذا أراد أن يعز عبده، ويجبره، وينصره، كسره أولا، ويكون جبره له، ونصره على مقدار ذله وانكساره، وهذا ما وقع

---

(١٦٢) آل عمران: ١٥٢.

(١٦٣) من حديث أبي سفيان عند البخاري/ الفتح (١٢/٧١/ح ٢٩٤١)، ومسلم (٣/١٣٩٥/ح ١٧٧٣).

(١٦٤) آل عمران: ١٧٩.

للمسلمين ببدر ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾[١٦٥] وبحنين ﴿ويومَ حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا﴾[١٦٦].

٦) إنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته، لم تبلغها أعمالهم، ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها.

٧) إن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغيانا وركونا إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والآخرة، فإذا أراد الله بها الرحمة والكرامة قيض لها من الابتلاء مافيه دواء وشفاء لذلك المرض.

٨) إن الشهادة عند الله من أعلى مراتب أوليائه، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو وغيره.

٩) إن في الابتلاء من الله تمحيص وتكفير لذنوب عباده وفرصة لهم لنيل الشهادة، قال تعالى: ﴿... وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين، وليمحِّصَ الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾[١٦٧].

١٠) إن الأنبياء (عليهم السلام)، إذا أصيبوا ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والأسقام ـ تعظيما لأجرهم ـ تأسى بهم أتباعهم في الصبر على المكاره والعاقبة للمتقين، وهذه سنة الله فيهم[١٦٨].

١١) إن اشتراك الرسول ﷺ في القتال مثله كأي فرد من أفراد جيشه دليل على حرصه ﷺ على عدم تميزه عن جنده ومساواة نفسه بهم. وفيه دليل على شجاعته وصبره وتحمله الأذى في سبيل دعوته.

---

(١٦٥) آل عمران: ١٢٣.
(١٦٦) التوبة: ٢٥.
(١٦٧) آل عمران: ١٤٠ و١٤١.
(١٦٨) انظر حسين الباكري: مرويات غزوة أحد، مرجع سبق ذكره، ص ٣٧١.